بعد ما قال ربكم ادعوني استجب لكم لان الدعا من العبد غاية في التذلل لربه وهو محبوب لربه
فاذا اتى العبد بمحبوب الرب عظمه بالاستجابة واذا لم يستجب له في الدنيا عوضه في الاخرة ولحبه
التذلل امر العباد بالعبادة فان استكبروا اذلهم غاية الاذلال ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم دار الذلة داخرين ذليلين ذلا لا يعقبه عز ابدا وكيف لا يلزم العباد عبادته وقد
انعم عليهم بما يقتضي شكره بالعبادة وانه خلق الليل والنهار اذ الله الذي جعل لكم الليل مظلما
لتسكنوا فيه وتستريحوا فتنشطوا للاعمال والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لتحصيل الاكساب الدينية
والدنيوية فقد تفضل الله عليكم بها وبما فيها ان الله لذو فضل على الناس ليشكروه بعبادته
ولكن اكثر الناس لا يشكرون ولو لم يتفضل عليكم بشي لكان مستحقا للعبادة اذ ذلكم العالي
بالذات لانه الله الجامع للكمالات التي من جملتها استحقاق العبادة مع انه ربكم الذي رباكم بجمع
اسرار الموجودات فيكم كيف وهو المنعم عليكم بساير النعم لانه خالق كل شي حادث اذ لا بد له
من محدث ولا محدث سواه اذ لا اله الا هو لكنكم تنسبون بعض الاشيا الى اسبابها التي لا تؤثر
الا به فانى تؤفكون اي فكيف تصرفون من المؤثر بالذات الى المؤثر بالغير لو كان له اثر ثم
اشار الى انه شبه افك المعطلة اذ كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون وكيف
يجحد ايات الله مع عظمها اذ الله الذي جعل لكم الارض قرارا مع ان اجسام العالم متحرك دايما
لتستدلوا به على استقراره على ما كان عليه في الازل والسماء بناء مع ان ثقله يقتضي سقوطه لتستدلوا
به على ارتفاع شانه عن ساير الموجودات وصوركم صورة جامعة لامور كثيرة مع انكم من مادة
واحدة لتستدلوا على ان هذه الكثرة انما حصلت من ذلك الواحد فاحسن صوركم بجعل كل
عضو في مكان يليق به ليتم الانتفاع به فتستدلوا بذلك على حكمته ورزقكم من الطيبات لتستدلوا
بذلك انه يطلب ميلكم اليه ليعبدوه فهذه الدلايل دلت على انه ذلكم المدلول به هو الله الجامع
للكمالات كلها مع انه ربكم الذي رباكم بتلك الكمالات من ذاته فلا حاجة الى الاسباب فتبارك الله وان كانت هذه الكمالات
لكنه خلق الاسباب لانه رب العالمين وهو وان رباها فليس لها اثر اذ لا حيوة لها في ذاتها
بل هو الحي بالذات اذ الحيوة مرجع صفات الالهية فلا تكون لغيره بالذات لانه لا اله الا هو فلا
تاثير لغيره بالذات فلا يستحق العبادة غيره اذ هي للمؤثر بالانعام والانتقام عن اختيار
كامل يتوقف على الحيوة بالذات فادعوه وانعامه بالاخلاص وانتقامه بتركه فكونوا مخلصين
له الدين وكيف لا تخلصون له الدين مع انه المستقل بجميع التاثيرات لذلك يقال فيه الحمد لله
رب العالمين فان زعموا ان ربوبيته للعالمين بواسطة الاسباب في البعض وبدونها
في البعض وبذلك استحق جميع المحامد فصار معبودا بالذات وبالظهور في الاسباب

جميعا

جميعا فاكمل العبادات ان تعبده باعتبار ذاته وباعتبار مظاهره قل لو كانت عبادته
بالاعتبارين كمالا لكنت مامورا بعبادة معبوديكم وليس كذلك بل اني نهيت ان اعبد الذين ثمن
تدعون لانها تذلل الاعلى للادنى اما دونهم فلكونهم من دون الله واما علوي فلاني لما جاءني
البينات التي لم يجيبهم كنت اعلى منهم اذ دلت على تقربي من ربي ولم امر بها استحقاقا للعبادة اذ
امرت ان اسلم له على انه لو اعتبر الاسلام لظهوره في المظاهر فلا يختص بذلك مظهر
دون اخر بل يجب الانقياد لرب العالمين ولا ينزل المظاهر الكلية منزلة رب العالمين اذ اعظم
المظاهر الانسان وفيه من وجوه النقص ما يمنع استحقاقه للعبادة وانما يعبد من نقله
من النقص الى الكمالات وبالعكس اذ هو الذي خلقكم من تراب هو ادنى البسايط العنصرية
ثم من نطفة هو ادنى المياه ثم من علقة هو اشبه بالهواء ثم يخرجكم طفلا هو اشبه
بالجمادات ثم ينميكم نماء النبات لتبلغوا اشدكم ويكمل فيكم الحيوانية ثم يحطكم لتكونوا
شيوخا فتعودوا الى ما يشبه الجمادات ومنكم من يتوفى فيصير جمادا من قبل ان يصير
شيخا ومن يترك فانما يترك ليصير الى الجمادية ولتبلغوا اجلا مسمى ثم يصيروا جمادا وانما
فعل ذلك لعلكم تعقلون ان المظاهر وان بلغت ما بلغت من الكمال ففيها من النقص
السابق او اللاحق ما يمنع من استحقاق العبادة وكيف يستحق الغير العبادة مع انها
اما للشكر على النعم واجلها الحيوة وهي من الله اذ هو الذي يحيي واما للخوف واجله خوف
العاقبة وهو منه اذ هو يميت وله القدرة التامة على كل مرجو ومخوف لانه فاذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون ثم ان المظاهر الكاملة انما هي ايات الله لكنهم يجعلونها من
السحر وهو نقص ويجعلون المظاهر الكاملة اصنامهم الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله
فيجعلونها من السحر انى اي كيف يصرفون ولو امكن توهم ذلك في الايات الفعلية لم يمكن في
الايات القولية كالكتاب وقرب منه اقوال الرسل فالمظهر بينها حكم الظاهر حتى كان الخارج
عليها كالخارج على الله ولذلك قال الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فهم وان
لم يعلموا ان تكذيبهم لها بمنزلة تكذيب الله المستلزم للخروج عليه فسوف يعلمون
ذلك حين يفعل بهم ما يفعل بالخارجين على السلاطين اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل
في ايديهم وارجلهم يسحبون اي يجرون معها في الحميم اي الماء الحار لرفعهم برد اليقين من
دلايل الكتاب والسنة ثم في النار يسجرون اي يحرقون لاحراقهم الادلة العقلية والنقلية
ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله فكنتم تجعلونها مشاركة للظاهر فيها فيبصروكم قالوا ضلوا
عنا فلا يبصروننا ثم بعد ما تكلموا بما يتضمن الاقرار بعبادتهم ينكرونها بقولهم بل لم نكن ندعو

Copyright © King Saud University